المبدأ 4

إن لم تكن ذئباً... استخفت بك القطط!

المغزى:

يؤشر نجاح كل واحد منا في الجهد الذي يصنع له قدراً خاصاً به، وفي تلك السمعة التي يبنيها حجراً بحجر ومدماكاً بمدماك حتى يُعلي من شأنه في المجتمع، ولمن يتساءل ما إذا كانت الأعمال التي يقوم بها المرء ستبدو رائعة أم مخزية؟ حرّي به أن يبدأ ببناء سمعة من صفة بارزة لديه، من قيم يؤمن بها أو تربّى عليها، سواء أكان ذلك من الكرم أم النزاهة أم رباطة الجأش أم الدهاء... فمثل هذه الصفات تُميّز المرء عن الآخرين وتجعله محور أحاديثهم.

إن السمعة كنز ثمين بل قطعة أثرية نادرة وقيّمة يجب المحافظة عليها بعناية وحمايتها من العبث أو الدنس أو التعدي، وحتى يتسنى ذلك على مُريدها أن لا يكون ضعيفاً في عالم العابثين. لا بد من إشهار علامات بأس

ورهبة كي لا يُستخف بما لديه من «كنوز ثمينة» ورصيد سمعة قيّم، لأن السمعة عطر المجد الذي يفوه عنك ومنك أينما ذهبت.. فلا تسمح لأحد أن يلوّث هذه السمعة أو يسرق نجاحك أو يستغل إنجازاتك أو يعتبرك قطًّا يسهل أكل عشائه، فالأقوياء بوجودهم... بنفوذهم... بسلطتهم:

1) لا يدعون أحداً يتسلق على أكتافهم.

2) لا يدعون أحداً يستغل عرقهم بحجة أو بأخرى.

3) لا يدعون أحداً يستهين بما لديهم من قدرات أو يقررون مصيرهم بدلاً عنهم.

إنهم وباختصار أسياد مصيرهم وقاطفو جهدهم المتواصل والباحثون عن كنز أهميتهم في غياهب المجتمع.. وإلا إذا كانوا قطعاً في عالم الذئاب حكموا على أنفسهم بالعدم، ودفنهم النسيان.

المثال

تزوجت سامية وهي صغيرة ثم سرعان ما رُزقت بطفلة جميلة.. بعد سنتين من زواجها طلقها زوجها بشكل مفاجئ والسبب هو رغبته في العودة إلى زوجته الأولى، لتجد سامية نفسها وحيدة في ظروف صعبة أمام مسؤولية طفلة وإعالتها، فاضطرت إلى العمل في مهنة وضيعة جداً كي لا تسأل أحداً، وهكذا جهدت في سبيل تربية ابنتها حتى كبرت عزيزةً ودخلت الجامعة وتخرجت شابة جميلة متعلمة وذات خُلق قويم.. بعد التخرج تقدم إليها شاب فرفضته الابنة لأنها

لم تجده أهلاً لها، فاحترمت الأم رغبتها في ذلك.. لكن فجأة ظهر الوالد بعد خمس وعشرين سنة في حياتهما، ليس لأنه متشوق لرؤية ابنته بل لأنه يريد تزويجها من أحد أقاربه.. وهو شخص تمقته الابنة وتحتقره، لأنها تعرف عنه بأنه غير مستقيم.. إلا أن الوالد مصر على تزويج الابنة منه لأنه قريبها ولربما هناك «صفقة مال بينهما في حال تمت الزيجة» - حسبما ترى الأم - وإلا ماذا يعني الإصرار، ولو لزم استخدام القهر بحق الابنة..

إزاء هذا الواقع تعيش الابنة حالة بكاء وقلق من أن يتحقق ما لا ترغبه.. فيقضي ذلك على طموحاتها وأحلامها وحتى على قرارها الحر الذي عرفته في كنف والدتها..»

عليه تتساءل الأم (سامية) ماذا تفعل وهي التي تعذبت وتحملت الكثير لتسعد ابنتها وإذا بها ترى السعادة تذهب هباءً لأن الوالد عاد بعد سنين ليقطف الثمرة.. بالطبع هنا لا ننصح سامية بأن تتوانى كي لا تتحقق مطامع الوالد..

الوضع يحتاج إلى اتخاذ موقف جريء من الأم والابنة معاً، بأن لا يستسلما أبداً.. لتواجه المشكلة مع أطراف معنيّة (أهل العريس المتقدم / أناس ثقاة/ رجال دين..) كي يشكلوا ضغطاً على الوالد. أن تُظهر نوعاً من «تكشيرة الناب» ولا تضعف أمام مطالب الآخرين على حساب سعادة ابنتها وسرقة نجاحها.. فإرادة الحياة التي

نمتلكها هي التي تدفعنا دوماً إلى المواجهة حتى تحقيق الهدف المرجو.. وإلا أصبحنا قططاً مُطاردَة يُستخفّ بشراستها....

الملخص:

أن تضمن لنفسك نسبة نجاح ما، يعني أنك تمنع الآخرين من سرقته أو استغلاله، يعني أن لا ندعهم يتخذوننا سلماً كي يصعدوا إلى مراتب شهرة ومجد، وحتى لا يحقق «لصوص النجاحات» مآربهم يتعين على ذوي السلطة أن يتنبّهوا لهم: بكتم إبداعاتهم وعدم إفشائهم «أسرار المهنة»..

المرادف:

- أن تحمل ضميراً فاسداً أسهل من أن تحمل سمعة رديئة.

(الفيلسوف الألماني نيتشه، 1844ـ1900)

- ليست الألقاب هي التي تُكسب الناس مجداً، بل الناس هم الذين يُكسبون الألقاب مجداً.

(ميكافيللي)

- هل تلقيت دروساً فقط من أولئك المعجبين بك والذين عاملوك بدماثة وتسامح ووقفوا إلى جانبك؟ ألم تتعلم دروساً من الذين جادلوك أو نبذوك أو تألبوا عليك أو عاملوك بازدراء؟

(شاعر أميركي)